تفسير ابن كثير

يقول تعالى مسليا لنبيه صلى ا عليه وسلّم وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلهم : { كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون } قال ا D : { أتواصوا به ؟ } أي أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة { بل هم قوم طاغون } أي لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال ا تعالى : { فتول عنهم } أي فأعرض عنهم يامحمد { فما أنت بملوم } يعني فما نلومك على ذلك { وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين } أي إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة ثم قال جل جلاله : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } أي إنما خلقتهم لامرهم بعبادتي لا لا حتياجي إليهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { إلا ليعبدون } أي إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن جريج : إلا ليعرفون وقال الربيع بن أنس { إلا ليعبدون } أي إلا للعبادة وقال السدي : من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ا } هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك وقال الضحاك : المراد بذلك المؤمنون .

وقوله تعالى : { ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن ا هو الرزاق ذو القوة المتين } قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد ا بن مسعود Bه قال : أقرأني رسول ا صلى ا عليه وسلّم { إن ا هو الرزاق ذو القوة المتين } ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسرائيل وقال الترمذي : حسن صحيح ومعنى الاية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد ا حدثنا عمران ـ يعني ابن زائدة بن نشيط عن أبيه عن أبي خالد ـ هو الوالبي ـ عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال ا تعالى ـ [يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك] ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذي : حسن غريب .

وقد روى الإمام أحمد عن وكيع وأبي معاوية عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل : سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول ا صلى ا عليه وسلّم وهو يعمل عملا أو يبني بناء قال أبو معاوية : يصلح شيئا فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال : [لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه ا ويرزقه] وقد

ورد في بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى : ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء وقوله تعالى : { فإن للذين ظلموا ذنوبا } أي نصيبا من العذاب { مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون } أي فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة { فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون } يعني يوم القيامة آخر تفسير سورة الذاريات ولله الحمد والمنة